اســم الكـتاب : علم النفس الإسلامي العام والتربوي (دراسة مقارنة) .

اســم المؤلف : الدكتور محمد رشاد خليل .

الناشــر : دار القلم للنشر والتوزيع .

سنة النشر : ١٤٠٧ هجرية (١٩٨٧)م

ظهر الكتاب في وقت يشتد فيه الجدل حول إسلامية العلوم الإنسانية بين المؤيدين والمعارضين ؛ **والكتاب يتبنى وجهة نظر المؤيدين لمبدأ إسلامية العلوم الإنسانية** ، وهو يقدم من خلال دراسة علمية جادة في مجالات : تاريخ التربية والتعليم ، وعلم النفس العام ، وعلم النفس التربوي ، الأدلة التي تؤيد وجهة نظره .

والباحث لا يرى فقط جواز تسمية هذه العلوم بالإسلامية ، **بل يرى وجوب هذه التسمية** ، ويقدم لنا ثلاثة علوم تحت هذا الإسم هي :

١ ــ **الأصول الإسلامية للتربية والتعليم** ؛ وهو يقابل : الأصول الفلسفية للتربية .

٢ ــ **علم النفس الإسلامي العام** ؛ وهو يقابل : علم النفس العام الحديث .

٣ ــ **علم النفس التربوي في الإسلام** ؛ وهو يقابل : علم النفس التربوي الحديث .

والكتاب على صغر حجمه مملوء بالتفصيلات الدقيقة في شتى هذه المجالات ، وهو مدعم بالأدلة والمقارنات التي تعزز وجهة نظره .

ففي مجال الأصول الإسلامية للتربية والتعليم ينبه الباحث إلى **خطأ الاعتقاد السائد بأن اليونان هم أصل مباحث علم النفس والتربية** ، وخطأ الزعم بأن تلك المباحث بدأت بالفيلسوف اليوناني سقراط الذي قال : اعرف نفسك ؛ وبهذه المقولة بدأ البحث في علم النفس ؛ **والباحث يسخر سخرية شديدة من هذا الزعم ، بل يذهب إلى القول بأن تأريخ**

العلوم الإنسانية خاصة والعلوم عامة باليونان جريمة أخلاقية وعلمية لا يجوز للمسلمين أن يشاركوا فيها ؛ وفي هذا المجال يكشف الباحث عن **جرائم الغرب المتمثلة في تزوير تاريخ العلم** ، وهو التزوير الذي اعترف به اليوم كثير من الباحثين في تاريخ العلم في الغرب نفسه ، وينقل في ذلك **شهادة جورج سارتون في كتابه تاريخ العلوم** بأن اليونان سرقوا علوم البابليين والمصريين وأن معجزة اليونان كانت إحياء أكثر منها إبداعا ، وشهادة **زيغريد هونكه** في كتابها **شمس الله تسطع على الغرب** بأن أوربا سرقت علوم المسلمين والمنهج العلمي ونسبت ذلك إلى نفسها وبنت عليه نهضتها .

والباحث لا يرد تاريخ التربية والتعليم إلى أمة بعينها ، **بل يرده إلى ماهو أبعد كثيرا ، وهو بداية خلق الإنسان** ، حيث يرى أنه ليس صحيحا ما زعمه التطوريون من أن الإنسان قد تطور عن الحيوان ، وأنه كان متوحشا لا يتكلم ولا يعقل ثم تتطور فتكلم وعقل وتعلم ، **وهو يقدم من نصوص القرآن القاطعة ما يؤكد فساد ذلك الزعم** وأن العكس هو الصحيح ، حيث إن الإنسان قد خلقه الله تام التكوين تام العقل ثم علمه الكلام والعلم ، **وأن الملائكة قد شهدت لأول إنسان بتمام العلم والعقل** ، بل شهدت له بفضله عليها في هذا المجال ، **فكان الله تعالى كما يرى الباحث هو أول معلم للإنسان** ؛ كذلك يذهب إلى أن **الله تعالى هو أول مرب للإنسان** ، ويقدم قصة اسكان آدم عليه السلام الجنة وإخراجه منها على أنها قصة **دروس عملية في تربية الإنسان** حيث أن هذه القصة تكشف للإنسان حقيقة نفسه ، وما ركب فيها من استعدادات ، وما فطرت عليه من خلائق سوف يكون بها العلم والجهل ، والضلال والهدى ، وأن الله تعالى بعد أن عرّف الإنسان حقيقة نفسه أنزله إلى الأرض التي خلق منها ولها ليبدأ مسيرته فيها على علم وبصيرة من الله تعالى ، فالإنسان كما يرى الباحث بدأ من قمة العلم والرشد **لأن أول إنسان كان عالما راشدا بل كان نبيا ، والنبوة قمة العلم والرشد** بل هي مرتبة في العلم والرشد لا يمكن تحصيلها بالاجتها والكسب وحين بدأ الاجتماع الإنساني على الأرض بدأ ــ كما يقول الباحث ــ أساس من الهدى والعلم والإسلام تسوسه الأنبياء ، ويتعهده الله عن طريقهم بالتعليم والتربية كلما جهلوا وضلوا ، **فالأنبياء ــ وليسوا الفلاسفة** كما يقول الباحث ــ **هم المعلمون والمربون** ، وبهم بدأ تاريخ العلم والتربية ، وإذا كان التطوريون يرون هذه الحقائق الثابتة أساطيرا فإن الباحث يذهب إلى عكس ذلك ويؤكد أن **التطوريين قد زيفوا التاريخ وبنوه على أساطير لا يسندها أي دليل من علم أو شبه علم** .

والباحث لا يذهب فقط إلى القول بتربية وعلم نفس إسلاميين ، بل يذهب إلى أبعد من ذلك **فيرى استحالة قيام علم نفس صحيح أو تربية قويمة على غير أساس**

الإسلام ، وحجته في ذلك أن الحقائق الضرورية التي تصح بها معرفة النفس **هي من أمور الغيب** التي لا سبيل إلى العلم بها إلا عن طريق خالق الإنسان وهو الله تعالى ، ولما كانت هذه الحقائق ضرورية ليعرف الإنسان نفسه لذا عرف الله بها رسله وأنزل بها كتبه لأن العلم بها أساس تكليف الإنسان ومسؤوليته ، ولا تكليف ولا مسؤولية في الإسلام إلا بعد بيان وعلم . كذلك يرى المؤلف أن تربية الإنسان من الأمور الضرورية التي تحتاج إلى علم صحيح بالنفس من جانب ، وإلى هداية وتوجيه وتعليم من الله تعالى من جانب ، لذا وكّل الله إلى الأنبياء هذه المهمة ، وأنزل على آخر رسله منهجا مفصلا لها بينه الكتاب وبينته السنة كما بين الباحث ؛ على أن الباحث يرى أن هناك **مصدرا آخر له في نظره أهمية بالغة وهذا المصدر هو الفقه الإسلامي ، وهو المصدر الذي لا تتجه إليه أنظار الباحثين عن التربية في الإسلام** ولذا تراهم يتخبطون فيذهبون إلى الفلاسفة من أمثال ابن سينا والفارابي ويحسبون أنهم يتكلمون عن علم النفس وعن التربية في الإسلام **مع أن هؤلاء وأمثالهم إنما يتكلمون عن التربية وعلم النفس عن اليونان لا في الإسلام** .

والباحث يقدم لنا علم النفس الإسلامي من خلال **دراسة مقارنة** تكشف عن مدى شمول هذا العلم ودقته ، كما تكشف لنا عن فساد **وزيف كثير من النظريات الحديثة** التي تأسس عليها علم النفس الحديث ، كما يكشف عن مدى **ارتباط هذه النظريات بفلسفات إلحادية وأهواء عرقية واستعمارية** نبه لها باحثون في الغرب نفسه حتى أطلق بعضهم على علم النفس الحديث اسم **علم نفس الرجل الأبيض** .

والباحث يبين في بحثه كيف يجهل علم النفس الحديث حقيقة النفس وأسباب ذلك الجهل ، وكيف بين الإسلام هذه الحقيقة ، وتحدث تفصيلا عن النفس وأحوالها والعوامل المؤثرة في تكوينها وسلوكها على صورة لا يعرفها علم النفس الحديث ، وفي أثناء ذلك يقدم الباحث عرضا سريعا لأهم مدارس علم النفس وظروف نشأتها وعلاقة هذه الظروف بنظرياتها ، ثم يقدم لنا منهجا في التربية الإسلامية يخالف منهج التربية الحديثة في الأسس والمجال والطرائق والأهداف بصورة عامة ، ولكنه ينبه في نفس الوقت إلى نقط الالتقاء الجزئية وأسباب هذا الالتقاء وفي هذا المجال يكشف عن بعض أخطاء الباحثين الذين تقبلوا هذه النظريات دون مناقشة ، وكيف أوقع ذلك الكثيرين منهم في مصادمة أصول اعتقادية في دينهم لا يصح إسلام المسلم بدونها ، **كما ينبه إلى مسائل ظنها البعض متفقة مع الإسلام وهي ليست كذلك ومن هذه المسائل : اللاشعور والكبت والعقد والتي دخلت مصطلحاتها حتى في حديث الموجهين المسلمين** .

وقد عرض الباحث منهجا شاملا للتعلم والتربية في الإسلام ليس من السهل الحديث عنه لشدة اتساعه وكثرة تفاصيله ، **وأهم ما في هذا المنهج** أنا لا نجد في هذا المجال شيئا له قيمته حقيقية قد سبقت إليه المدارس الغربية إلا وهو على صورة أضبط وأوفى في المنهج الإسلامي، ليس فقط في طرائق التربية بل وفي طرائق التعلم ، وفي ذلك المجال نبه الباحث **إلى خطأ شائع يتعلق بالأمية ونفى أن تكون الأمية بمعنى الجهل مطلقا** ، وبين أن الأمية فوق أنها **لاتعنى الجهل مطلقا وإنما تعني الجهل بالكتابة فقط** ، فإنها فوق ذلك منهج تعليمي هام بل هي المنهج الأساسي للتعلم ، وهو المنهج الذي سماه الباحث **المنهج الفطري الأمي** ، وهو المنهج الذي علم الله به **نبيه الأمي** ، وعلم به النبي الأمي **الأمة الأمية** ، وعلمت به الأمة الأمية الدنيا كلها ، ذلك المنهج الفطري الأمي كما بين الباحث هو **منهج النظر والملاحظة والتجربة** التي قامت عليه نهضة المسلمين العلمية ، وأخذه عنهم الغرب وبنوا عليه نهضتهم الحديثة .

وفي سياق البحث مسائل هامة يتطرق إليها الباحث مثل **فساد الفصل بين الدين والعلم** وأهمية المصطلح اللغوي للعرب وعلاقته بمصطلح الإسلام ، والتراث القيم المجهول للعرب في علم النفس والتربية **والذي هو أفضل مما عرفته اليونان** .

وفي ختام البحث يتوجه الباحث إلى المسلمين كي يعودوا **إلى المنهج الإسلامي في التعليم والتربية فيصلحوا به أنفسهم ، ويصلحوا به ما أفسده الغرب من مناهج التعليم والتربية** ، ولا يعني ذلك ألا يستفيدوا من كل ما يمكن الاستفادة به من علوم الغرب ومناهجه بل إن الباحث يرى أنه يجب عليهم ذلك **شريطة ألا يأخذوا من الغرب إلحاده وكفره وشركه ، وما بناه على ذلك من فلسفات ونظريات** .